

تفسير البحر المحيط

@ 185 ابن عباس أيضاً : واجعلوا بيوتكم قبل القبلة ، وعنه أيضاً : قبل مكة . وقال مجاهد وقتادة ومقاتل والفراء : أمروا بأن يجعلوها مستقبله الكعبة . وعن ابن عباس أيضاً وابن جبير : قبله يقابل بعضها بعضاً . وأقيموا الصلاة وهذا قبل نزول التوراة ، لأنها لم تنزل إلا بعد إجارة البحر . وبشر المؤمنين يعني : بالنصر في الدنيا وبالجنة في الآخرة ، وهو أمر لموسى عليه السلام أن يتبوأ لقومهما ويختارها للعبادة ، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء . ثم نسق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ، لأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيماً له وللمبشر به . . .

2 ({ وَقَالَ مُوسَى رَبِّ انزِلْ عاتيتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّ انزِلْ لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّ انزِلْ اطْمَسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعِ الْعَذَابَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَدَّوْا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَّنتُ أَنْزَاهُ لِإِلَهِ الْإِلَهِاتِ الذِّبَابِ بِمَا بَنَوْا إِسْرَائِيلَ وَأَنْزَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَأَنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَيْلٌ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُذَجِّبُكَ بِبَيْدَتِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ ءَأَيَّةٌ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَأَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ * وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُودًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَأَيَّةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَأَمَّنتُ فَدَفَعْنَهَا إِيْمَانُهَا

إِلَّا فَوَمَّ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَافِلًا الْخَزْيَ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ
مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمَّ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ الْبِشْرَ حَتَّىٰ يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَفَّىٰ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ
الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالذُّرُورُ عَنِ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ
يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ
فَإِنْ تَنْتَظِرُوا إِلَّا نَزْيًا مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَنَطِّرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِي الْمُؤْمِنِينَ * قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا كُنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِيمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ
يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ
فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ
اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَالِيهَا
وَمَا أَنَا بِأَنَّ عَالِيكُمْ بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ
يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } (2 .

{ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ
عَلَىٰ { : لما بالغ موسى عليه السلام في إظهار المعجزات وهم مصرعون على العناد واشتد
أذاهم عليه وعلى من آمن معه ، وهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرًا ، وعلى الإنذار إلا
استكبارًا . أو علم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال ، أو علم ذلك
بوحى من الله تعالى ، دعا الله تعالى عيهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول : لعن
إبليس وأخزي الكفرة . كما دعا نوح على قومه حين أوحى إليه { وَأُوحِيَ إِلَيَّ نُوحٌ
أَنَّه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا } وقد قدم بين يدي الدعاء ما آتاهم الله من النعمة
في الدنيا وكان ذلك سببًا للإيمان به ولشكر نعمه ، فجعوا ذلك سببًا لجحوده وكفر نعمه ،
والزينة عبارة عما ينزى به ويتحسن من الملبوس والمركوب والأثاث والمال ، ما يزيد على

ذلك من الصامت والناطق . قال المؤرخون والمفسرون : كان لهم فسطاط مصر إلى أرض الحبشة
جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت . وفي تكرار ربنا توكيد للدعاء
والاستغاثة ، واللام في ليضلوا الظاهر أنها لام كي على معنى : آتيتهم ما آتيتهم على سبيل
الاستدراج ، فكان الإتيان لكي يضلوا . ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله : {
فَالْاِتِّقَاتَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا } وكما قال الشاعر
: (وللمنايا تربي كل مرضعة % .
وللخراب يجد الناس عمراناً .
%) .

وقال الحسن : هو دعاء عليهم ، وبهذا بدأ الزمخشري قال : كأنه قال ليثبتوا على ما هم
عليه من الضلال ، وليكونوا ضلالاً ، وليطبع ا□ على قلوبهم فلا يؤمنوا . ويبعد أن يكون دعاء
قراءة من قرأ ليضلوا بضم الياء ، إذ يبعد أن يدعو بأن يكونوا مضلين غيرهم ، وهي قراءة
الكوفيين ، وقتادة والأعمش ، وعيسى ، والحسن ، والأعرج بخلاف عنهما . وقرأ الحرميان ،
والعربيان ، ومجاهد ، وأبو رجاء ، والأعرج ، وشيبة ، وأبو جعفر ، وأهل مكة : بفتحها .
وقرأ الشعبي بكسرها ، ولى بين الكسرات الثلاث . وقيل : لا محذوفة ، التقدير لئلا يضلوا عن
سبيلك قاله : أبو علي الجبائي . وقرأ أبو الفضل الرقاشي : أإنك آتيت على الاستفهام .
ولما تقدم ذكر الأموال وهي أعز ما ادخر دعا بالطموس عليها